أسباب تراجع الموقف الأوروبي الغربي موجودة في قمتي عمان والطائف

بقلم: بشير البرغوثي

تجري بيروز فرسان السوق المشتركة على مسرح الشرق الاوسط يدلوهم في مشاكله وحل تلك المشاكل وكانوا جولاتهم المتتابعة الى ما بالولايات الامريكية ليضبطوا وجهم مع خطوات القادم البيت الابيض . ولعله الدول الاشارة الى ان دول الاوروبية المشتركة من مبادئ، ومثل تتمسك من مصالح سياسية واستراتيجية ؛ يتطلب الجهاد مخرج للمازق الذي السياسة الامريكية. المعبر تيات كامب ديفيد .

دول السوق الاوروبية قد بدأت تحركها على الفعل العربي الموحد ضد كامب ديفيد . وتصورت انها بوجود مبادرة اوروبية يمس بقضية الشرق الاوسط ن حالة التازم في المنطقة ام اليمين العربي قشة بها في بحر العجز ..

حملت الوعود الاوروبية مانيا من اهدافها، حيث غير قمة تونس آماله عليها، عة العمل العربي بالسعي تلك الوعود . ولتحت جموعتي السوق المشتركة من انيين. وتنافست صحف بالتبشير بمبادرة اوروبية الاعلان، وقريبة الشبه عربي .

يكن ذلك بلا مبررات . ت اسس لتلك الافتراضات وجود موقف عربي موحد. جماهيري عربي ، وجبهة دت بوضوح وواقعية آفاق عربي ، ووعود بالوحدة جبهة الشرقية . وكان من د ذلك كله ان يحدث وسا في ميزان القوى لصالح خروج مصر السادات من عربية .

فرسان السوق الاوروبية يراقبون ذلك ، ن استنتاجهم الخاص وهو ن هذا التوجه العربي ، تصبح نواياها التحالف مع الاتحاد السوفييتي ، والبروز كبديل مقبول لسياسة الاعتماد على الامبريالية الامريكية .

وكان من الممكن رغم الجوهر الامبريالي لسياسة دول اوروبا الغربية . ان تضطر هذه الدول حفاظا على مصالحها الى اتخاذ موقف اكثر عقلانية وواقعية من قضية الشعب الفلسطيني لو تبلورت المظاهر الايجابية التي برزت في الوضع العربي بعد توقيع اتفاقيات الكامب. وتتوجت الى مواقف عملية، ولكنها سرعان ما خبت وعادت الى السطح الخلافات والنزاعات الجانبية وحتى فتح الجبهات الحربية والاعلامية ضد اصدقاء العرب مثل ايران وافغانستان، حتى اخر القائمة المعروفة لكثرة ما ترددها اجهزة الاعلام اليمينية . وبدا للدول الاوروبية الغربية وللعرب انفسهم ان ميزان القوى لم يتحول لصالحهم بل تعرض الى مزيد من الاختلال بسبب مواصلة عدة دول عربية لارتباطها بالامبريالية بل وزيادة توثيق هذا الارتباط بالتسهيلات والقواعد العسكرية والخدمات العالمية والاقتصادية والاعلامية وبسبب انعكاس هذا الارتباط على العلاقات العربية في اشتعال المعارك الجانبية والانصراف عن المهمة الاساسية .

ولم يخف المسؤولون الاميركيون اغتباطهم بالاحداث الجارية في منطقة الشرق الاوسط. وقد نشر مؤخرا تقرير عن سياسة ريغان المقبلة يعتبر المدخل لحل قضية الشرق الاوسط زيادة تحويل الانظار الى ما يسمى بالخطر السوفييتي . وقالت صحيفة النهار البيروتية ان "التقرير يؤكد ان الرئيس ريغان وادارته يأملان في ان تخف التوترات المحلية والاقليمية خاصة بين العرب واسرائيل ثم تصبح تدريجيا على حد ما جاء في التقرير ذات اهمية ثانوية حيث يتقدم عليها باستمرار الخطر السوفياتي المشترك ." (القدس ـ ٢٢ / ٣ / ١٩٨١) .

وما من شك في ان بعض الدول العربية تشارك في هذه اللعبة الخطرة ، وتصعد حملاتها الاعلامية ضد الاتحاد السوفييتي ، وتتحدث عن خطر مزعوم وكأنه قائم فعلا . وتحاول دفع خطر قائم الى مؤخرة اهتماماتها . وقد كانت محصلات وضع القضية الافغانية على رأس جدول اعمال المؤتمر الاسلامي ومؤتمر عدم الانحياز تعبيرا عن التقاء المواقف وتنسيقها بين الولايات المتحدة وبعض حكام الدول العربية والاسلامية . واذا كان قابوس عمان أحرصهم في المجاهرة بهذا الموقف فهناك بين حكام الدول العربية من يتخذون نفس الموقف وهم يؤكدون في نفس الوقت ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، مع علمهم ومواقفتهم على ان موقفهم هذا يخدم السياسة التي تريد تحويل القضية التي تمثلها منظمة التحرير الى قضية ثانوية !!

وفي ظل اوضاع كهذه ما هي حوافز دول اوروبا الغربية لتتناقض مع الموقف الامبركي او لتحاول وضع مبادرة جديدة بديلة لاتفاقات كامب ديفيد ؟ لا شيء على الاقل في المدى القريب وفي الظرف الراهن .

لكن هذه الدول ، رغم ذلك ، تواصل ايفاد مندوبيها ، وفي فترة اسبوعين فقط زار المنطقة كل من كرايسكي وغينشر وكلاوز وزير خارجية هولندا ورئيس مجلس وزراء السوق المشتركة ، عدا عن موظفين رسميين اقل شانا : وبرلمانيين اوروبيين ليسوا بعيدين عن مكاتب وزارات خارجية بلدانهم . ولا يملك احد الادعاء بان كل اولئك السادة هم هواة الدق في منطقة الشرق الاوسط . كما لا يستطيع احد الادعاء بان ما يحمله كلاوز هو نفس ما حمله سلفه جاستون ثورن حينما زار المنطقة قبل عدة شهور .

لقد اختلف الوضع منذ ذلك الوقت ، وباتت الصراعات والمعارك الجانبية تتصدر قائمة اولويات بعض الدول العربية . ولم يعد يقلق دول السوق الاوروبية المشتركة ان تتجه الدول العربية الى طريق بناء قوتها الذاتية . والوقوف في وجه المصالح الاحتكارية الامبريالية في الوقت الحاضر على الاقل . واصبحت هذه الدول تدرك ان باستطاعتها تحقيق مكاسب في المنطقة دون الدخول في تناقض مع الولايات المتحدة ولهذا اخذت تصريحات مسئوليها تتخذ صفة التحديد في التبلس من الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ولي تصبح تفسيراتها السابقة لحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني .

ولعل مما له دلالته ان تصبح القاهرة السادتية محطة رئيسية للممثلين الرسميين للدول الاوروبية الغربية ، وان تتعزز علاقات هذه الدول مع السادات فيستقبله نوابها في لوكسمبورغ ، ويفد اليه كرايسكي وغينشر وكلاوز في فترة زمنية لا تتعدى الاسبوعين بعد ان كان قد تقابل مع ديستان في باريس .

ان هذه التطورات ليست الا انعكاسا للواقع العربي الراهن وللاستنتاجات السياسية الاوروبية الغربية منه . وقد قبل للشاذلي القليبي ، امين عام جامعة الدول العربية ، عند زيارته في مطلع هذا الشهر لمقر السوق الاوروبية المشتركة ان امام "جامعته" من المشاكل الذاتية ما ينبغي ان تشغلها عن مطالبة اوروبا الغربية بمبادرة جديدة ، وان امام اوروبا الغربية من المشاكل ما يشغلها عن قضية انشغل اصحابها عنها ، وعاد القليبي يحمل معه اتفاقا باستئناف الحوار العربي الاوروبي حول التعاون الاقتصادي !!

ومع ذلك فليس دقيقا تماما القول بان اوروبا الغربية لم تعد مهتمة بأزمة الشرق الاوسط . والصحيح انها لم تعد قليلة من ان تسبب هذه الازمة ازمة لها ، وهي ترى في استجابة بعض الدول العربية لاستراتيجية ريغان الجديدة ما يشجعها للمساهمة في "الضغط" على الجانب العربي بدلا من الضغط على الجانب الاميركي لحل ازمة الشرق الاوسط بالمواصفات العربية .

من هنا يكون التطبيل لزيارات مندوبي السوق الاوروبية المشتركة في هذه الظروف نوعا من خداع النفس او محاولة لخداع الاخرين ، وما لم تتغير معطيات الواقع العربي باتجاه تعديل توازن القوى في المنطقة لصالح حركة التحرر العربية فان اوروبا الغربية لن تكون عربية اكثر من العرب انفسهم حتى لو صدقت نواياها .

وقد بات واضحا ان الولايات المتحدة من خلال التهويل بالخطر السوفييتي المزعوم تستهدف ، بين ما تستهدف ، تحويل القضية الفلسطينية والعربية الى قضية ثانوية . وهذا يعني ان الشاركين في حملة التهويل من حكام العرب لا يخدمون القضية الفلسطينية والعربية بل يخدمون " القضية الاميركية " .

وهذا الواقع يوضح الافاق امام كل اولئك الذين لا يريدون ان تتحول قضيتهم الى قضية " ذات اهمية ثانوية " كما يأمل ريغان . ويفند بذلك ادعاءات كل اولئك الذين يزعمون بان مشابهة السياسة الاميركية وخدمة اغراضها تقودان الى تاييد الولايات المتحدة للمطالب القومية العربية .

ان آلاف الامثلة والدلائل قد برهنت على عكس ذلك عبر عشرات السنين . وبرهنت ايضا على ان الطريق لاستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ولاقرار سلام عادل وطيد في منطقة الشرق الاوسط يمر من خلال توازن قوى ملائم للطرف العربي يستند الى جبهات داخلية عربية متماسكة بالديمقراطية والى تضامن عربي كفاحي مرتكز على طاقات عربية محشودة ومعبأة على جميع الاصعدة وفي كل المجالات والى تحالف مع الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية والصديقة يرفد القدرة العربية بالدعم والمساندة على كل صعيد .

وعندما حينما يزور مبعوثو السوق الاوروبية المشتركة منطقة الشرق الاوسط يكون اهتمامهم منصبا على كيفية التقارب مع الموقف العربي وليس كما هو الآن . منصبا على كيفية تقريب ذلك الموقف من اتفاقيات كامب ديفيد ! !

ندوة فان لير حول المناطق المحتلة

دعوة لتحطيم نفوذ منظمة التحرير لحل سعضلة بقاء الاحتلال

وقبل ان نتحدث عن الاجابات والاستنتاجات ، تجدر الاشارة اولا الى ان مؤسسة " فان لير " قد عقدت اكثر من ندوة على هذا الطراز كان آخرها تلك الندوة التي عقدت في شهر آب الماضي وشارك فيها مجموعة من "الليبراليين" بينهم الجنرال داني ماط منسق نشاطات الحكم العسكري في المناطق المحتلة والجنرال رفائيل فاردي الحاكم العسكري الاسرائيلي السابق . وعدد من المستشارين والخبراء الاسرائيليين في الشؤون العربية .

ولوحظ في حينه ان الندوة المذكورة قد خرجت بمجموعة من الاستنتاجات مثل الدعوة لتطوير سياسة الحكم العسكري الاسرائيلي في المناطق المحتلة ، واستغلال ما يسمى بالخيار الاردني لحل قضية الشرق الاوسط. وطالبت بوجوب العمل في المرحلة الحالية لفصل المواطنين الفلسطينيين في الضفة والقطاع عن منظمة التحرير الفلسطينية ، على اعتبار ان سياسة " اليد الحديدية " كفيلة بانجاز هذه المهمة .

هذا على الصعيد "الليبرالي" النظري، واما على الصعيد العملي، فقد جاءت التطورات اللاحقة وما شهدته المناطق المحتلة من احداث لتؤكد عقم هذه الاستنتاجات . وهذا ما اكدته ايضا بدورها طبيعة الموضوعات والاسئلة التي دارت حولها الندوة الاخيرة لمؤسسة "فان لير" نفسها والتي عقدت في الاسبوع الماضي .

على السؤال الاول ، هل يمكن ايجاد حل للقضية الفلسطينية ..؟ اجابت الندوة ليس هناك حل يمكن الاتفاق عليه ، ولكن قد تكون هناك محاولات للاقتراب لحل ما !!

وعلى السؤال الثاني كان الجواب قاطعا ليس هناك من يمكن التفاوض معه في المرحلة الحالية !!

بالاضافة الى هذه الاجابات قدمت ندوة " فان لير " مجموعة من التوصيات ايضا على الشكل التالي :

يوسف تبانكين من كيبوتس عين حاروذ :

على اسرائيل ان تحافظ على قدرات "دفاعية" في "يهودا وشمرون" .

منير عميت ، عضو كنيست وجنرال سابق :

"اقترح انشاء اتحاد كونفدرالي وليس فدرالي بين اسرائيل والاردن والكيان الفلسطيني ، ويمكن ضمن هذا الاتحاد منح الفلسطينيين سيادة ناقصة ، مع الاحتفاظ لاسرائيل بمقومات "دفاعية" في المناطق" .

اهارون باريك رئيس معهد الدراسات الاستراتيجية في جامعة تل ابيب :

"على اسرائيل ان تمسك زمام المبادرة وتقدم تنازلات اضافية من اجل استمرار مفاوضات الحكم الذاتي التي تشكل الاطار لاي حل مقترح" .

ويمكن الاستنتاج ، مما جاء في الصحف الاسرائيلية ، ان المشتركين في ندوة "فان لير" قد حاولوا الدمج بين ما وصفوه بانها السيطرة الاسرائيلية على السكان العرب في الضفة والقطاع وابقاء السيادة الاسرائيلية على هذه المناطق في نفس الوقت . وبما ان منظمة التحرير الفلسطينية هي العقبة الرئيسية امام تنفيذ هذا الحل فان "تحطيم قوتها ونفوذها" في المناطق هو الطريق الوحيد لتنفيذه" . وحتى يتسنى لاسرائيل ذلك " يجب الا نخاف . والا نستسلم . بل علينا ان نحافظ على ايماننا بالقضية الصهيونية والاحتفاظ بسيطرتنا على جميع الاراضي " .

ان ندوتي " فان لير" السابقة واللاحقة "الليبراليتين" من وجهة النظر الصهيونية اقرتا المبادئ العامة للسياسة الاسرائيلية الرسمية وان كان هذا الاقرار قد جاء مغلفا ببعض التزويقات والتوجهات الليبرالية . ومع ذلك يمكن ان نلاحظ ان فشل استنتاجات وتوصيات "الندوة الاولى" لم يمنع منظميها عن البحث عن اساليب جديدة لتنفيذ نفس الاهداف المعروفة والتي تتجاهل دور الشعب الفلسطيني ودور ممثله الشرعي منظمة التحرير الفلسطينية .

وحتى اذا اقتنع منظرو فان لير بعد ٦ اشهر من ندوتهم السابقة بفشل ما يسمى بالخيار الاردني فان بحثهم المتجدد عن اساليب اخرى للدمج بين مقولتي " انهاء السيطرة" و"ابقاء السيادة" يعني انهم عادوا الى مواقعهم الحقيقية وكشفوا وجههم العاري لان ما توصلوا اليه هو نفس السياسة الرسمية التي يمارسها الليكود في المناطق المحتلة وخارجها ولكن بدون اي رتوش ليبرالية .